حوارات في تدبير المبتدئين

(٩)

الهـــــــدف

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٦

www.coptology.org

كان المبتدئ يطلب "كلمة منفعة"، ولكنها صارت بعد ذلك "قانون". ولعل غياب الشيوخ وعدم تسليم الحياة النسكية، هو الذي أدخل فكرة القانون. صار القانون في العصر الوسيط بالذات هو صلوات المزامير – العمل اليدوي – وخدمة الأخوة. والذين عاشوا في المغاير، لم يتركوا لنا مدوَّنات عن تدرج الحياة من المجمع الى الوحدة.

كان أبي حريصاً على تمييز أن الحياة المسيحية الحقيقية لها هدف، وأن الهدف هو التشبُّه بالمسيح، لا بأيٍّ من القديسين. نحن ندرس حياة القديسين وأقوالهم، ونتعلم منهم الحكمة والسلوك، ولكن كل هذا من أجل أن يكون لنا اتحادٌ حقيقي بالرب يسوع. وعندما كنا نرتل المجمع في تسبحة نصف الليل، كان يقول بعد المجمع: "يا أنوار الرب يسوع الذين أناروا حياتنا، اطلبوا عنا لكي ننال ذات نور الرب يسوع". وحَرِص على أن أحفظ الإبصاليات وأُرددها في كل يوم، وأن أحفظ صلاة باكر والثالثة والسادسة والتاسعة والغروب والنوم، ليس بتلاوة المزامير، بل بحفظ أوقات الصلاة. وكان يكرر: لسنا تحت شريعة موسى، ولا يوجد قانون خاص بالصلاة للعلمانيين.

"هدفك هو قانونك". وهدفك هو الاتحاد بالرب. واجعل من ذلك الهدف قاعدة التمييز بين ما هو نافع ولازم، وما هو ضار وغير مُجدٍ. لا تُحرِّم شيئاً ما، إلا إذا كانت الوصايا، أي وصايا الرب يسوع، قد حرَّمته. ولذلك كان يشدد على حفظ العظة على الجبل، وقال: إن مكانها الصحيح هو الساعة السادسة، ساعة صلبوت الرب؛ لأن ما جاء في هذه الوصايا هو طريق الصليب، وهو طريقٌ واضحٌ لا غموض فيه. وظلَّ يؤكد أن العظة على الجبل هي بداية إتقان الإفراز؛ لأن مَن لا إفراز له، هو مثل ورقة جافة في مهب الرياح.

أعود إلى القانون، وكان الجانب الآخر من الهدف، أي الاتحاد، هو محبتي للرب واكتشاف محبة الرب لشخصي الخاطئ.

وسألته: هل للمحبة قانون؟ وأجاب في رفق وحزم: نعم، قانون المحبة هو الصليب، وللصليب جانبان: الموت والقيامة. نحن نموت، لا لكي نموت، بل لكي نقوم.

وجاء قرارٌ آخر، وهو حفظ (رو ٦: ١ - ٨)؛ لأن المعمودية ليست حدثاً عابراً غاب في الماضي. لقد استلمنا من سر المعمودية المقدسة رشم الصليب، وهو عودتنا -برشم الصليب- إلى الالتصاق بالمصلوب والحي من الأموات.

لن تفهم محبة الله لنا إلا إذا فهمت صلب الرب، وتذوقت قوة المصلوب، وصُلبت معه. وصارت صلاة النوم هي صلاة الدفن والموت مع الرب، وهي مناسبة ضرورية لحساب النفس. كان يُشدد: لا تترك الغضب، أو أي فكر يحكم على أي إنسان. "خليِّ قلبك طاهر"، ولا "تحكم على أحد"؛ لكي يكون عندك سلام، يجعلك قادراً أن تميز ما في قلبك من رغبات.

ما يجب أن تحفظه:

اختار أبي مجموعةً من المزامير لكي أحفظها. وشدَّد على مزمور ٢٣ "الرب راعيَّ"، مزمور ٢٧ "الرب نوري وخلاصي"، مزمور ٩١ "الساكن في ستر العلي". وطلب مني أن أحفظ صلوات القِطَع الخاصة بكل ساعة، وبالذات إنجيل السادسة، مع إضافة نص العظة على الجبل كلها وعدم الاكتفاء بالتطويبات.

الحرص والانتباه:

على أيقونة مار مينا تجد عبارة هامة كانت هي التي حدَّدت سلوك أبي: "فوق كل تحفظ، احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة". وقال: إن هذه كانت وصية شيوخ

دير البرموس؛ لأن القلب النقي، كما قال الرب، يعاين الله. ولما تأتي عليك أمواج أفكار شريرة، إن كان لها أصلٌ في خبرة قديمة عندك، فأنت تحتاج إلى توبة وتقديس. وإن كانت غريبة عليك، فهي من العدو الشرير. وإن كانت مؤسَّسة على أحداث قديمة، فقد تكون منك، أو من الشيطان، وعليك أن تميِّز. وقال لي إن الإنسان لا يستطيع أن يمنع العصافير من أن تطير فوق رأسه، ولكنه يقدر أن يمنعها من أن تبني عُشاً فوق رأسه. اعرف ما هي رغبة قلبك الحقيقية، وثبِّت قلبك واحفظه دائماً في نقاوة؛ لكي تسمع صوت الروح القدس عندما يناديك أو يطلبك لأمرٍ ما.

لكن في كل مرة تشتاق فيها للرب، اعرف أن هذا هو عمل روح يسوع المسيح ربنا فيك.

الصمت:

"الصمت من أجل الصمت، يجلب على الإنسان أوجاعاً لا داعٍ لها"؛ لأن الذي يصمت لكي يبرز نفسه صامتاً، فينال مديح الناس، أو يصمت، بينما تيارات الفكر تعبر في قلبه مثل طوفان، لكن يجب أن يكون الصمت إرادياً، وهو يبدأ بالابتعاد عن حلقات جمع أخبار الناس، ولا تكرر ما سمعته، لا سيما خطايا الآخرين؛ لأن نشر خطايا الناس لا يساعدهم على التوبة. لا تكرر ما تسمعه، إلا إذا كنت شاهد عيان، وكنت تشهد من أجل المنفعة.

الصمتُ طريقٌ لنقاوة القلب من "السجس"؛ لأن الإنسان الذي وجد حلاوةً في ذكر اسم الرب يسوع، يفقد رغبته في الكلام مع الناس. هذا يُولَد من المحبة لا بتصنُّع التقوى.

الاستعداد للتناول:

استعداد القلب يجب أن يبدأ بعشية اليوم؛ لأن يوم الرب، كما قال سفر التكوين: "وكان مساء وكان صباح". وكلما ذكرت الأناجيل الأربعة شيئاً عن معجزات الرب بأن الوقت كان مساءً، فهذا دليلٌ على دخول يوم السبت حسب شريعة موسى. أما عندنا، المساء هو بداية القيامة، إشراق الحياة الجديدة. ولذلك علينا أن نودِّع حياتنا القديمة. كان القديس أنطونيوس الكبير يردد عبارة إيليا النبي: "حيٌّ هو الرب الذي أنا واقفٌ أمامه اليوم"، وكان اليوم هو يومٌ جديد، وكل يوم هو يوم جديد.

التناول يُحيي فينا الالتصاق بالرب، ويجدد فينا المعمودية والميرون، ولذلك كان استدعاء الروح القدس في القداس يتم بخشوع ورهبة؛ لأن مَن حلَّ عليه روح الرب، يزهد في كل شيء. "وحيث روح الرب توجد الحرية"، وكل اثقالنا يحملها معنا الراعي الصالح ربنا يسوع، ولذلك لا تتردد من الاعتراف للرب بما يضايقك أو يتعبك أو بالمعاناة التي تمر بها؛ لأن الرب يعرف ما أنت فيه، وينتظر أن يسمع منك طلب المعونة.

حضور عشية وباكر هو ضروري قبل حضور القداس، إلا إذا كانت لديك موانع، عليك أن تحددها أنت حسب محبتك، لا حسب التراخي والكسل الذي يصيب كل مَن لا هدف له، أو ترك الرب كهدفٍ لحياته.

انزع من قلبك كل ما هو زائد، واطلب ما هو باقٍ وأبدي. هذا هو طريق الاتحاد بيسوع، وعندما يصبح جسدك جسده، وحياتك حياته، عليك أن تكون مثله. كلامك نعم يعني نعم، ولا تعني لا، ولا تكن بقلبين. وإذا تراخيت عن هذا، قم واطلب نعمة الرب؛ لأن خطايانا مهما كانت، لا تهدم النعمة. النعمة أقوى من الخطية.

د. جورج حبيب بباوي